

توظيف القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها رؤية نقدية

د. محمد عبد الفتاح الخطيب
مدرس اللغويات والفكر الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف، و
الإمارات العربية المتحدة.

ورقة مقدمة إلى "المؤتمر العالمي الأول لتعليم القرآن الكريم" الذي تقيمه الهيئة
العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة.
المحور الرابع: الأسس العلمية التأصيلية للتعليم القرآني.

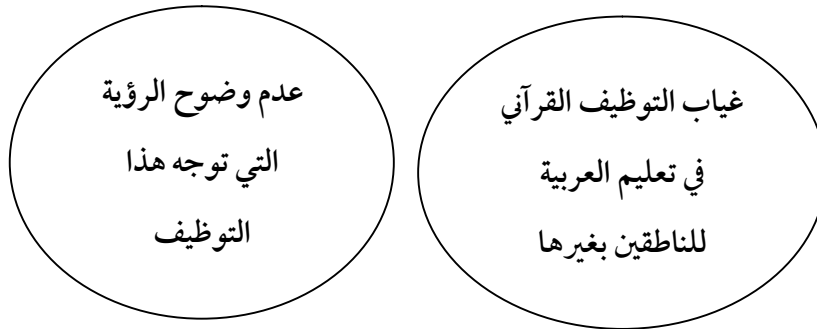
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وَبَعْدُ ،،،

حدود الدراسة ومنهج البحث:

فموضوع البحث "المقاربة النقدية" لأهم الأدبيات الشائعة في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، والتي أدت إلى: غياب هذا التوظيف؛ إذ يلاحظ في معظم الكتب في هذا الميدان، تقلص الحجم المخصص للقرآن الكريم إلى حد الاختفاء، وكذلك غياب منهجية واضحة توجه هذا التوظيف بشكل صريح أو ضمني؛ ومن ثم "الإشارة" إلى أهم الأسس المنهجية في التوظيف القرآني لتعليم العربية للناطقين بغيرها بعيداً عن النظر إلى ديانتهم (مسلمين كانوا أم غير مسلمين)، باعتبار أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأول؛ فلا يجوز إغفاله في هذا الميدان.

ومن ثم يأتي هذا البحث: محاولاً قدر الإمكان إلقاء الضوء على هذه القضية، ومستخدمًا منهجيه التحليل لأسباب هذا الغياب الملحوظ في غياب التوظيف القرآني في تعليم العربية للناطقين بغيرها، ومفتنًا الدعاوى التي تمنع من توظيف القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها و مبيّنًا أوجه هذا التوظيف وطرق الاستفادة منها، مع دعوة المختصين لتذليل العقبات أمام أوجه هذه الاستفادة، هذا من جهة. ومن جهة ثانية الإشارة إلى الأسس المنهجية التي ينبغي إتباعها في تأليف برنامج، يهتم في بنائه بتوظيف القرآن الكريم، وفق عدد من الضوابط يتم الإشارة إليها في ثنايا البحث؛ إذ من المعلوم أنه إذا غاب المنهج دخلت العشوائية!!

إشكالية البحث ودعاوى مرفوضة:

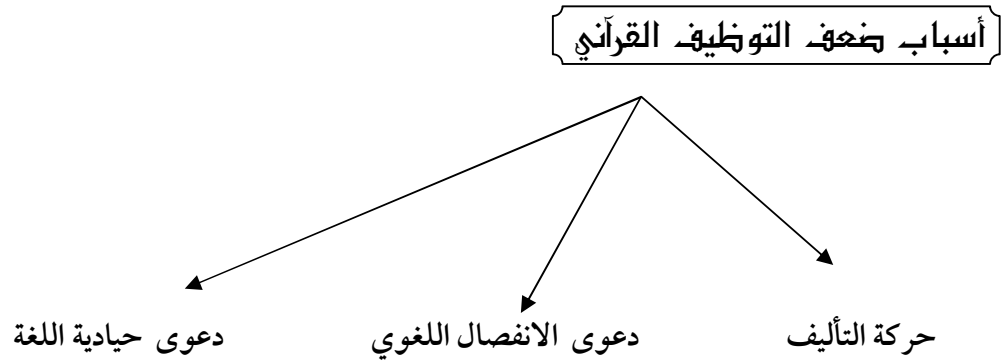


تقوم إشكالية البحث على بيان ضعف الجهود المعنية بالتوظيف القرآني في تعليم العربية للناطقين بغيرها؛ إذ لا يعد من منطلقات أو مداخل تعليم العربية للناطقين بغيرها في كثير من المناهج، التي جاءت خالية من روح حضارتنا، التي يحكمها إطار من القرآن الكريم، تلاوة وتفسيرًا، ومن الحديث النبوي الشريف، والعبادات، والأخلاق، والنظم الإسلامية. فالناظر في كثير من كتب هذا الميدان وأدبياتها في بناء مناهجها، يلاحظ أمرًا بارزًا، وهو: اتسامها بالفقر الشديد في عرضها الثقافة العربية الإسلامية، وضآلة، إن لم يكن اختفاء، المفاهيم الإسلامية، بالإضافة إلى ما يوجد في بعضها من ثغرات حضارية، أو دس حضاري، مقصود أو غير مقصود، إلى جانب "غياب التوظيف القرآني في تعليم

العربية للناطقين بغيرها، و عدم وضوح الرؤية التي توجه هذا التوظيف بشكل صريح أو ضمني".

فمثلاً: "الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالاشتراك مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، بأجزائه الثلاثة يخلو من الآيات القرآنية تماماً، مع أن الجزء الثالث قائم كله على اختيار مجموعة من النصوص من النمط العالي في العربية، شعراً ونثراً، ولو قارنا الوحدات المعجمية الواردة في "المعجم المساعد" للمنهج (ما يقارب خمس آلاف وحدة معجمية) لوجدنا ما يعادل حوالي ٦٧٪ منها مستخدمة في القرآن الكريم!! وكذلك منهج جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، فإنه يخلو تماماً، في أجزائه الثلاثة، من آيات القرآن الكريم. ومنهج بيتر عبود **Elementary Modern Standard Arabic** يقدم في درس من دروسه خمس آيات قصيرة فقط، مع أن المنهج يحتوي على ما يقارب ألف صفحة، تقدم في خمسة وأربعين درساً، ومنهج المستنصرية لا يصل فيه عدد الآيات إلى عشر، وهكذا بقية المناهج، ولا يستثنى منها إلا منهج الجامعة الأردنية، ومنهج الرياض، وأم القرى، والمدينة المنورة، فكانت أكثر المناهج ذكراً للقرآن الكريم (وذلك راجع إلى أن هدفهم من تعليم العربية للناطقين بغيرها هو تعليمهم الشريعة الإسلامية)

ولعل هذا الضعف في التوظيف القرآني في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، يمكن إرجاعه إلى ثلاثة أمور:



أولاً: أن حركة تأليف كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها، تنتشر خارج العالم العربي والإسلامي؛ إذ تشير الإحصائية التي قام بها معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى^(١) إلى: أن حركة تأليف العربية للأجانب تتمركز خارج أرض العرب، وعلمائها الذين ينتمون إليها لغة وثقافة وحضارة!! فمجموع ما ينتج من كتب، وفق هذه الإحصائية، في أمريكا، وألمانيا، وانجلترا، وفرنسا، حوالي ٥٢٪ من حركة التأليف (أمريكا: ٢٨٪، وألمانيا: ٩٪، وانجلترا: ٩٪، وفرنسا ٦٪ ومجموع ما تنتجه الدول الإسلامية غير العربية حوالي ١١٪) (الباكستان: ٦٪، وإيران: ٣٪، وبنجلادش: ١٪، وتركيا ١٪) وتنتهي الإحصائية إلى "أن حركة نشر كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها في المنطقة العربية، ما زالت دون المستوى (حوالي ٣٤٪) إن هذه المنطقة أحق من غيرها بنشر لغتها في أرجاء المعمورة؛ ومن ثم فهي أولى بتبني حركة

(١) ينظر: الكتاب الأساسي لتعليم العربية للناطقين بلغات أخرى، إعداد - تحليله - تقويمه. د. محمود كامل الناقة، ود. رشدي طعيمة، مطبوعات جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م. وهو كتاب يقدم مسحاً شاملاً لمعظم كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها، يشمل مئة كتاب تعليمي، صدرت في أماكن مختلفة، منها العربية والإسلامية، والغربية.

التأليف والطبع والنشر في هذا الميدان، أسوة بما تقوم به البلاد الأجنبية المتقدمة في سبيل نشر لغتها"^(١). وهذا يقتضي أن تدرس العربية بمنطق (الآخر) بعيداً عن منطقنا، وثقافتنا، ومصادرها الأساسية، وخاصة القرآن الكريم، بل إن مصدر النصوص في أغلبها كتاب: ألف ليلة وليلة، وهو كتاب فيه ما فيه من تشويه للحضارة العربية الإسلامية، وسادت الروح التبشيرية في كثير من هذه النصوص؛ فأخذت تدرس في ثانياً موادها التعليمية نظرات عقائدية تختلف مع العقيدة الإسلامية!!^(٢).

ثانياً: ولعل الدافع الأكبر على أن يتقلص الحجم المخصص للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها إلى حد الاختفاء شبه الكامل، اعتقاد بعضهم أن القرآن الكريم يعود إلى عربية قديمة، يشيرون إليها بعنوان **classical Arabic** وهي تختلف عن العربية المعاصرة **modern Arabic** وبذلك يفترضون أن هناك عربية قديمة ووسيلة وحديثة، قياساً على اللغات الغربية خاصة، والحقيقة أن هذا^(٣) التوجه يستند إلى قياس غير دقيق على لغات أخرى كاللاتينية واليونانية؛ فالعربية القرآنية في قطاع كبير منها معاصرة؛ لأن الناس يتشربونها من خلال استماعهم وقراءتهم لها، ومن خلال موقعها في قرار وجدان الناطقين بها من المسلمين"^(٤).

فارتباط العربية بالقرآن الكريم غير من جوهر العلاقة بين العربية والزمان والمكان، وأصبح القرآن الكريم هو المتحكم في تطور العربية؛ لأنها سبيل فهم الخطاب الإلهي، والتعرف على مراد الله للإنسان، ومقتضى ذلك: حماية اللغة، وضمان امتدادها، وتواصل أجيالها، من خلال عزمات البشر، واجتهادهم في فهم الخطاب الإلهي، فخرجت بذلك عن القوانين التي تحكم لغات البشر، من حيث الاتجاه إلى التفتت والاختفاء والاندثار إلى آخر نفس ينبض في هذه الحياة، فالقرآن الكريم حمى اللغة من الاندثار، وحُمي بها من التحريف، مما جعلها لا تعاني مما يعرف في اللغات الأخرى بالمرحلة التاريخية، كالإنجليزية القديمة والوسيلة والحديثة، والناظر في قائمة: المفردات الشائعة في اللغة العربية، التي أعدها د. داود عبده، عام ١٩٧٩ م، و: قائمة مكة للمفردات الشائعة، التي أعدها لجنة من معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٩٨٢ م، يرى، بما لا يدع مجالاً للشك، أن ارتباط العربية على ألسنة أصحابها وثيق، بين الماضي والحاضر والمستقبل، فهي جزء من برنامج المسلم اليومي، ومن هنا تبطل المماثلة اللغوية بين العربية وغيرها من اللغات من حيث تطور تلك اللغات، ومغادرتها لأصولها الأولى، والتقطيع والانقطاع والاغتراب بين أجيالها.

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) فمثلاً: كتاب Elementary Modern Standard Arabic لبيتر عبود وآخرين، الذي يحتل مكانة مهمة في حركة تعليم العربية للناطقين بغيرها، فهو المصدر الأساسي لتعليم العربية في معظم الجامعات الأمريكية، وبعض الجامعات العربية، كالكويت، واليرموك، والقاهرة، في هذا الكتاب ترى مضموناً ثقافياً مشوهاً عن الحضارة العربية الإسلامية، في تصوير علاقة الرجل بالمرأة من خلال طالب يلتقي بطالبة في الجامعة، فيقيان علاقة، ثم بعد ذلك يلفظها بعد رحلة انتهائية قصيرة، ثم ترى صورة قبيحة للجاحظ، وموقفاً خسيئاً لهارون الرشيد، ونفاقاً رخيصاً من القاضي (أبو يوسف) ليبرر للرشيد مضجع جارية.... ينظر: بحوث في اللغة والتربية، د. محمد أحمد العميرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠١ م، ففيه تحليل دقيق للمضمون اللغوي والثقافي في هذا الكتاب، ص ٣٣.

(٣) الثقافة الإسلامية في كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها " د. محمد أحمد عميرة، بحوث المؤتمر التربوي، الجزء الأول، ذو الحجة ١٤١١ هـ، ص ٣٢٢.

وهذا ليس معناه أن العربية لم تتعرض في بعض أشكالها التعبيرية إلى بعض ما تتعرض له اللغات الأخرى، ولا يعني الحجر وإيقاف اللغة بحال من الأحوال، وإنما يعني أن تعلق اللغة بالنص الإلهي الخاتم (القرآن الكريم) جعل أي تغير فيها يخضع لمنطلقات سليمة، وجذور ممتدة، تحول دون النمو السرطاني، إن صح التعبير، الذي يؤدي إلى مغادرة الأصل، ولا يستصعبه، بل أي تغير فيها، من توليد، أو إضافة معاني جديدة لم يغادر الأصل، وإنما ينطلق منه، ومن هنا نستطيع أن نقرر في جزم، يؤيده الواقع، أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم، جعلها ثابتة في نحوها وصرفها ونطقها، ومتطورة ونامية في مفرداتها ودلالاتها ومصطلحاتها وأساليبها، فبلغت بذلك فضاءات وامتدادات لم تنلها أية لغة أخرى اليوم، صوتاً وإيقاعاً ودلالة واستنباطاً ومعيّاراً وأداة توصيل!!

ثالثاً: الاعتقاد السائد لدى كثير من العاملين في هذا الميدان بـ "حيادية اللغة" وهذا يقتضي، ضرورة، أن يكون محتوى المنهج اللغوي الذي يقدم في برامج تعليم العربية للناطقين بغيرها، خالياً من أي مضمون ثقافي، أو حضاري، بعيداً عن أي مدخل قرآني، فلا تعير - في سطحية وضيق أفق - اهتماماً لمثل هذا البعد الحضاري في تعليم العربية لغير أبنائها. والحق أنه قد يكون المطلوب اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إدراك أن "الحياد" في تعلم اللغة أمر غير وارد، بل هو نوع من خداع النفس؛ فقد أجمعت الدراسات العلمية اللغوية الجادة على "محورية اللغة" في "منظومة الثقافة"^(١) - خاصة أن صلة العربية بالثقافة الإسلامية، صلة تفرد وتميز - وإذا كان من المؤكد أن "التبعية" و"الذوبان" في دائرة "الآخر" على قدر كبير من الخطورة، فإنه لا يقل عن تلك الخطورة، خطورة انطواء "الأناس" وتقوقع الذات، وهذا يشمل المجتمع واللغة كليهما، وخاصة في عصر قدمت فيه - عن طريق لغة الآخر - صورة جلها التشويه عن العرب والإسلام والقرآن ولغته!!

(١) ينظر: تقرير التنمية الإنسانية العربية، للعام (٢٠٠٢م) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المملكة الأردنية الهاشمية، ص ٧٤.

والطالب الأجنبي الذي يتعلم العربية من خلال مضامين غير مضامينها، بدعوى علمانية اللغة، وأن الحداثة العربية تنسلخ عن جذورها، يكون قد وقع ضحية المنهج الذي يقدم اللغة بعيدة عن رتتها الطبيعية، ومذاقها الخاص بها، المتمثل في نسيجها الثقافي الذي لا يضارعه نسيج؛ إذ قد أثبتت الدراسات أن المعلومات و المعارف الثقافية هدف أساس من أهداف أي مادة تعليمية لتعلم لغة أجنبية، وأن الطلاب عادة ما يتوقعون دراسة ثقافة اللغة، بالقدر نفسه الذي يدرسون به مهاراتها^(١)، كما أن كل الدراسات حول دور "الحافز" في تعلم اللغات تؤكد أن تقديم العناصر الحضارية، إذا تم بشكل علمي مدروس، يعد أمراً بالغ القوة، بدونه سرعان ما تصاب اللغة بالرتابة^(٢).

وهذا يتطلب من المؤلفات المقترحة أو المؤلفة، في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، أن تسد تلك الثغرات، فتصاغ وفق برنامج لغوي، مؤسس على أرضية من الحضارة العربية الإسلامية، ومصدرها الأساسي (القرآن الكريم) وأن تكون متعددة الأبعاد اللغوية، والدينية، والثقافية، والاتصالية، كما يرى علماء هذا الفن، فيما يسمونه: **Boston Paper** فكما نبحت عن المفردات الأساسية، والتراكيب الشائعة، لا بد أن نبحت عن المفاهيم الإسلامية، والثقافة العربية الأساسية؛ لكي نقدمها للطالب؛ فاللغة تصحب ثقافتها بالضرورة، ولا يمكن أن يتم تعليم اللغة من خلال محتوى مفرغ من ثقافتها، ولتكون ثمرة التعلم أن يقبل طالب العربية، من غير أهلها، على الثقافة العربية الإسلامية، قلباً وقالباً، ولتكون اللغة منسجمة مع مجتمعتها الذي تسري في يقظته وأحلامه.

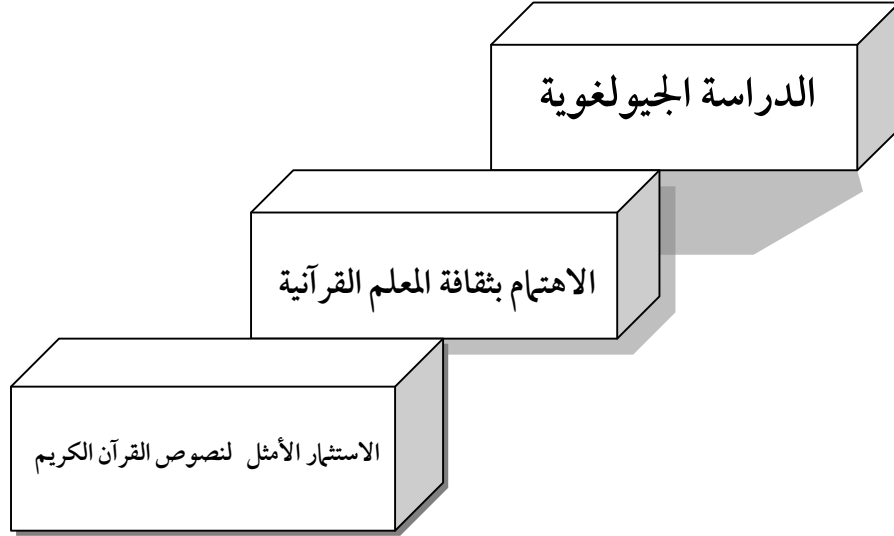
من ذلك كله نعتقد أنه لا وجه لضعف التوظيف القرآني في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، بل إننا نعد ذلك نقصاً شديداً، وخطأً في بناء هذه المناهج؛ إذ نرى أن في هذا التوظيف -بما للقرآن من أثر نفسي، وطريقة صوتية ذات مذاق خاص يجذب أسماع وقلوب الآخرين - سبيلاً لنشرها في العالمين، ونرى في ذلك رسالة "حضارية" تقرب الآخر منا كأنه منا، بل نرى في ذلك سبيلاً لاحتواء الآخر بسحر العربية.

(٢) تعليم اللغة اتصالياً بين المناهج والاستراتيجيات، د. رشدي أحمد طعيمة، ود. محمود كامل الناقة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ١٠٢. وينظر أيضاً: "الثقافة الإسلامية مدخل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" د. رشدي طعيمة، دراسة مقدمة إلى ندوة معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مارس، ١٩٨١م. وينظر له أيضاً: الأسس المعجمية والثقافية لتعليم العربية لغير الناطقين بها، مطبوعات جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٠، وينظر: الروح الإسلامية في تعليم العربية لغير الناطقين بها، مجاهد مصفى بهجت، بحث نشر في السجل العلمي للندوة العلمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها، والتي عقدت في جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٠هـ.

(١) الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية لغير الناطقين بها، د. حماد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٣٣.

من الأساسيات المنهجية في التوظيف القرآني في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها:

وفي هذا المجال يمكن أن نشير إلى أساسيات ثلاثة، ينبغي الاستناد عليها عند التوظيف القرآني في تعليم العربية للناطقين بغيرها



الأساس الأول: الدراسة الـ (جiolغوية) الجادة، لأفواج الدارسين، والوقوف على أهدافهم المتنوعة؛ حتى يتم اختيار النصوص القرآنية التي تعطيهم لغة في الباب الذي يدرسونه، كما تعطيهم قيمًا قرآنية في (البيع/ الشراء/ الأمانة/ الصدق/ الرحمة/ التعاون...) والقاعدة: أنه كلما توافرت لدينا دراسات، ومعلومات، ومعارف، وبيانات، حول نوعية الدارسين، وخصائصهم، وأعمارهم، ولغاتهم، وحاجياتهم، ودوافعهم، وخبراتهم السابقة، توافرت لدينا إمكانية التوظيف القرآني في تعليمهم العربية، وإعداد برامج مناسبة لهم، وربط محتوى المنهج بحاجيات الدارسين، ورغباتهم، وأغراضهم، وميولهم؛ ومن ثم تصميم برامج تعليمية لأغراض محددة، واختيار الإجراءات والاستراتيجيات المناسبة لذلك.

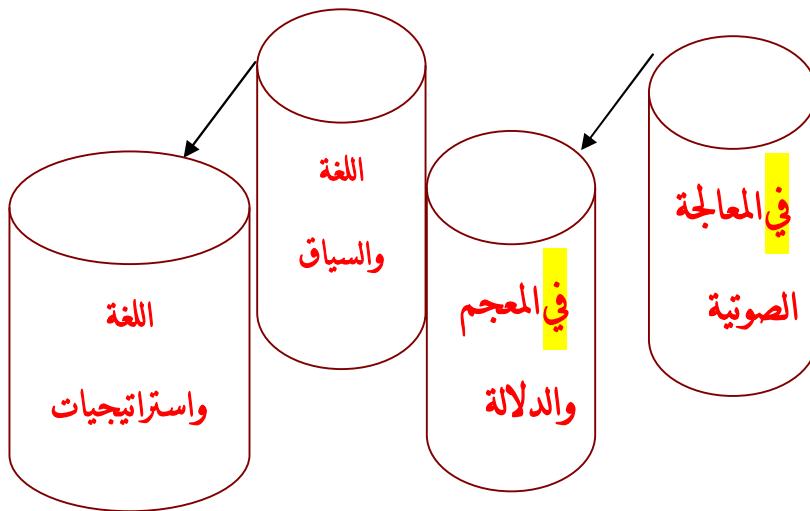
الأساس الثاني: الاهتمام بالثقافة القرآنية خصوصًا، والإسلامية عمومًا، لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ لأن اللغة وعاء الثقافة والفكر، وبغير الإحاطة بأدواتها لا يستطيع المدرس التعامل مع مضمونها، فضلًا عن إيصاله، وهذا يقتضي من معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، التزود بالثقافة اللازمة لذلك، وهي مسألة لا تقل أهمية عن تعلم المهارة، إن لم تفقها، ومنها:

- إتقان معلم العربية للأداء القرآني تلاوة وأحكامًا، ومخارج، وأصواتًا؛ وذلك ليتمكن من الاستشهاد به بقراءة سليمة، لما يتركه ذلك من أثر إيجابي كبير في نفوس الدارسين.

- إدراك مفهوم الثقافة العربية الإسلامية، وتصور واضح لموقف الثقافة الإسلامية من الثقافة العربية.
- المعرفة الواضحة بأسس الفكر الإسلامي، وأركانه، وما بني عليه.
- الوقوف على بعض الجوانب العملية التطبيقية من الحضارة الإسلامية، كالعمارة وبخاصة عمارة المساجد، والفلك، والفنون بأنواعها.
- الإمام بالرقعة الجغرافية التي يمتد عليها العالم الإسلامي المعاصر.

- الإمام بالآداب الشرعية، والقيم الإسلامية في المناسبات الاجتماعية، والأعياد، والاحتفالات الدينية.
- الوقوف على التصور الإسلامي الصحيح من القضايا المعاصرة، نحو: حقوق الطفل والمرأة في الإسلام، وحقوق الإنسان، وحرية الرأي، وموقف الإسلام من الجنس والزنا والربا والخمر، وغير ذلك من قضايا العولمة والتكنولوجيا المعلوماتية.
- الأساس الثالث: أن يكون هذا الاستثمار للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، وفق الضابطين التاليين^(١):
 - أن يكون اختيار النصوص القرآنية متوافقاً والبناء المنهجي للكتاب، وغرض الطالب من تعلم العربية، متدرجاً في الأهمية والأولويات، بحيث لا يظهر هذا العرض كأنه محشور حشراً في ثنايا المنهج، خارج عن متطلبات الدارس، بعيد عن مسار درس اللغة.
 - عدم عرض قيمه، باعتبارها قيماً غريبة، أو باعتبارها نمطاً حضارياً مناقضاً، ومعارضاً للنمط الحضاري للدارسين، بل باعتبارها نمطاً حضارياً ذا طابع خاص، قد يتشابه مع الأنماط الأخرى، فيتعارض معها، أو يختلف ويتمايز، فيكملها، وهذا يقتضي تجنب اختيار ما يتعارض وثقافات الآخرين مما يسبب لهم حرجاً، أو نفوراً، أو إثارة للدفاع عن ثقافتهم.

من أوجه التوظيف القرآني في تعليم العربية للناطقين بغيرها:



(١) ينظر: التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، د. تمام حسان، ص ٩٢-٩٥ والكتاب الأساسي لتعليم العربية للناطقين بلغات أخرى، ص ٤٠-٤٦ والاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها، ص ٣٤٠-٣٤٢.

أولاً: في المعالجة الصوتية

لكل لغة من لغات البشر نظام صوتي خاص بها، ويعد النطق الجيد للغة الهدف من أصعب عناصر اللغة اكتساباً؛ ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أسباب عضوية، فجهاز النطق وما يحمله من "العادات النطقية" يتكيف مع اللغة الأم، ويصعب إعادة تكيفه مع ما يخالفها من اللغات؛ لذلك يحتاج هذا الجانب من الأداء اللغوي إلى عناية خاصة، واهتمام مكثف في الميادين التعليمية من الجانبين النظري والتطبيقي، إذ النطق الجيد نتاج سماع جيد، و"السمع أبو الملكات اللسانية" كما يقول ابن خلدون^(١) فلا يمكن للطالب أن يتكلم إلا إذا أتقن مهارة الاستماع، والقدرة على الطلاقة في النطق تعتمد، إلى حد كبير، على الاستماع السليم، إلى الأصوات الحية، ولا نجد ذلك بدقة، مثل ما في قراءة القرآن الكريم، حيث يمكن الاستفادة من القرآن الكريم في هذا الميدان - وهو أمر لا تزال كثير من مناهج تعليم العربية غفلاً منه - عن طريق تصميم برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية للناطقين بغيرها، من خلال "الاستماع" الجيد للقرآن الكريم^(٢) و"التعود" على النطق الأمثل لحروف العربية بأصواتها الصحيحة، وخاصة الأصوات التي ليس لها نظير في غير العربية، مثل: الظاء، والضاد، والعين... (وعدم إتقان ذلك يؤدي إلى الخلط بين بعض الأصوات، (حال/ خال، العَلَم/ الأَلَم، الطالب/ الضارب...) ويمكن التغلب على صعوبة نطقها من خلال ربط هذه الأصوات بكلمات في القرآن الكريم، ونطقها بالكيفية التي تمثلها علماء التجويد، و"التدرب" على الأداء الدقيق "للعادات النطقية" كالتفخيم والترقيق، ودرجات المد والشدة، ومخارج بعض الأصوات التي اختصت بها العربية، وكذلك التجمعات الصوتية، نحو: النبر والتنغيم والإيقاع، وأشكال التغيرات الصوتية، من: إدغام، وإبدال، وتضعيف.

فالتسجيلات الصوتية للمقرئين، وتعليم قواعد التجويد، وغيرها قد مكنت من عرض "القرآن الكريم" وتعليمه بأساليب حديثة عالية التأثير (يتوفر اليوم آلاف، الساعات الصوتية من تلاوة القرآن محفوظة على شبكة الإنترنت، ويمكن سماع بعضها مباشرة وإنزال البعض الآخر من قبل المستخدم إلى جهازه؛ لكي يسمعه متى شاء). ولا شك أن سماع الطلاب، وتدريبهم على النطق السليم للحروف القرآنية، يساعد على تعليمهم النطق الأمثل لأصوات العربية، حتى يصبح نطقاً آلياً، وهذا أمر يجب اعتباره في تعليم العربية للناطقين بغيرها؛ إذ لا يمكن، بأي حال من الأحوال، اعتبار نطق غير متواضع عليه نطقاً مَرَضِيّاً. وهنا يؤدي علم التجويد (أو علم: مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها)

(١) مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤م، ص ٥٥٩، ويقول في موضع آخر (١/ ٥٢٦): "هذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه"

(٢) وما يجب اعتباره هنا: أن روعة القرآن الكريم بما له من نمط صوتي يغاير المؤلف من كلام البشر، له تأثير كبير في استلاب غير العرب، ودفعهم إلى العناية بسماعه، والتعلق بأدائه، مما يكون له كبير الأثر في عملية التعلم، وهو أمر جربناه كثيراً في تعليم العربية للناطقين بغيرها. وقد ذكر لنا أستاذنا الدكتور محمد عمر سالم (استشاري الطب النفسي بجامعة بريطانيا والإمارات) أنه كان يعالج بعض المرضى النفسيين من الأجانب بسماع القرآن الكريم، فيشفون من خلال تعودهم السماع له دون أن يعرفوا شيئاً من معناه

دورًا في غاية الأهمية في المختبر اللغوي،^(١) ذلك العلم الذي بلغ منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية، من خلال حديث علمائه عن: أصوات العربية مفردة، وتصنيفها إلى جامدة وذائبة، وصفات كل، ودراساتهم لهذه الأصوات متصلة وما يؤديه هذا الاتصال من تأثير وتأثر، وكذلك حديثهم عن: أمراض الكلام، وعيوب النطق، والانحرافات اللهجية، يقول الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)^(٢): "إن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور:

أحدها: معرفة مخارج الحروف.

والثاني: معرفة صفاتها.

والثالث: معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الأحكام.

والرابع: رياضة اللسان بذلك، وكثرة التكرار.

وأصل ذلك كله وأساسه: تلقيه من أولي الإتيان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت، وجودة الفك، وذراية اللسان، وصحة الأسنان، كان الكمال" مما يجعل من هذا العلم - إلى حد كبير - قانونًا صحيحًا يرجع إليه، وميزانًا مستقيمًا يُعوّل عليه، في تعليم العربية للناطقين بها وبغيرها؛ ومن ثم جعله علماءنا من: "علوم العربية" لأنه يعطي صورة تكون أقرب إلى الدقة في وصف النطق العربي الأصيل، وتمثله، وهو مع ذلك مهملاً تمامًا في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها "وإن الواقع اليوم ليشهد: أنه حيثما أهمل علم التجويد انتكس نطق العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قلب بلاد العرب. وحيثما نال هذا العلم العناية الكافية، درسًا وتطبيقًا، صفا ذلك النطق وسما، ولو كان ذلك في أطراف آسيا، أو في قلب إفريقيا. إنها حقيقة كبيرة، ومهمة في حياتنا اللغوية المعاصرة، ولكننا نغفل عنها في كثير من الأحيان"^(٣).

كما نود الإشارة، هنا، إلى ميدان خصب بكر، لم يطرق بعد، في مجال الدراسات المتعلقة بتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهو ميدان "القراءات القرآنية" ومدى الاستفادة منها في "تسهيل" تعليم العربية للناطقين بغيرها، فهذا فضاء آخر، يمكن توظيفه تقنيًا، وخاصة في مجال "الأصوات" إذ اختلافات القراءات القرآنية أدائية في غالب الأمر^(٤).

(١) وبهذا نستطيع أن نقضي، إلى حد كبير، على شكوى أن كثيرًا من معلمي العربية للناطقين بغيرها ينقلون عاداتهم النطقية إلى أصوات العربية الفصحى عند تعليمهم أصوات العربية؛ لأن القرآن الكريم يقرأ بالتلقي، وتضبط أصواته، بأسانيد مشايخه، فالمشافهة هي العمدة في تحصيله، مما يوحّد، إلى حد كبير، من عادات القراء النطقية.

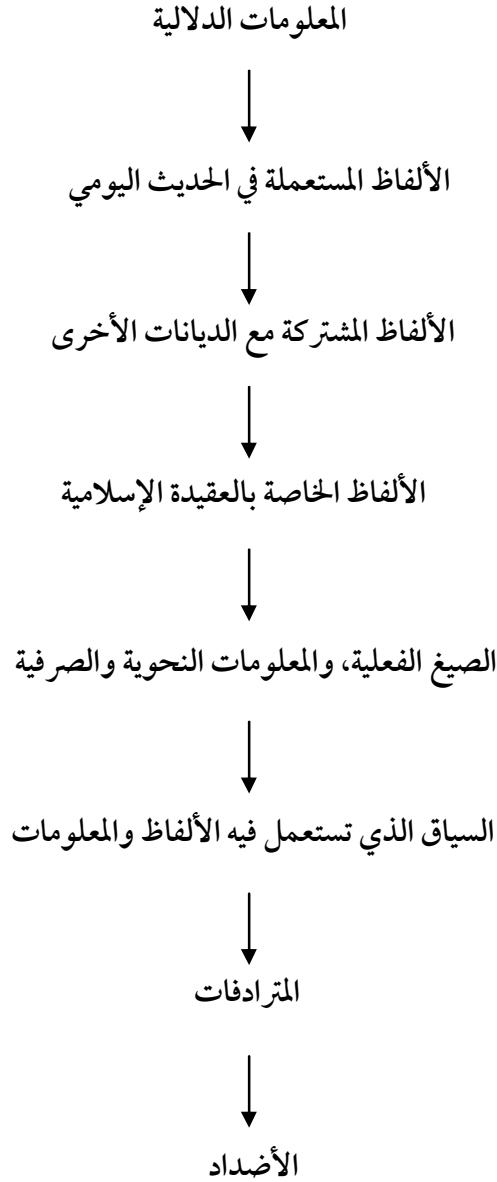
(٢) شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، للمرادي، تحقيق: د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، ص ٣٠.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٨٠.

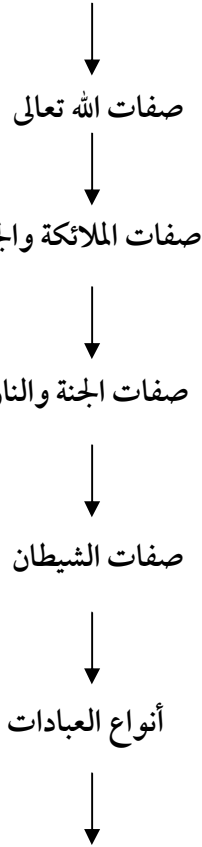
(٤) مثل: تسهيل الهمزة، بجعلها مدًا مناسبًا لحركة ما قبلها (وهذا نطق شائع لدى بعض طلاب العربية من أبناء بنجلاديش) أو إسقاطها في درج الكلمة (في نطق بعض طلبة أفريقيا الناطقين الفرنسية) ينظر: بحث ميداني في الدراسات التقابلية في مجال الأصوات العربية، د. علي أحمد الخطيب، ٥٩/١ وفي هذا الميدان ذكر علماء التجويد أن الهمزة لها في العربية وجهان: (التحقيق) وهو الأصل، والمراد به: إعطاؤها حقها في النطق، و(التخفيف) وهو لغة أهل الحجاز؛ إذ إن الهمزة لما كانت خارجة من أقصى الحلق استجبت العرب تخفيفها؛ استئصالًا، وهذا التخفيف، يكون بإبدالها، أو نقلها، أو تسهيلها (ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها، لابن أبي مريم، ١/ ١٨٥).

ثانيًا: في معالجة المعجم والدلالة

فمما لا شك فيه أن تعليم اللغة، أية لغة، يعتمد على المعجم وحقوقه الدلالية بشكل أساسي، وكلما كان المعجم المقدم للطالب ثريًا في مواده، معتمدًا على نصوص حقيقية في بنائه، كان الأثر المرجو منه كبيرًا، وخاصة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، وهنا يمكن الاستفادة بشكل ملحوظ جدًا من القرآن الكريم؛ بما يشكله من ثروة لغوية في سياقات حية، حيث يمكن إنشاء معجم حاسوبي قرآني، ناطق ومصور، لتعليمي العربية من الناطقين بغيرها، وترتيب مداخل هذا المعجم بطريقة ميسرة، تحتوي على:



كما يمكن أن تحتوي الحقول الدلالية في هذا المعجم على:
أسماء السور القرآنية وفواتحها



المفاهيم الحضارية (.... وغير ذلك من الحقول)

كما يمكن إعداد معاجم قرآنية حاسوبية، أحادية اللغة، آلية، ناطقة، ومصورة قدر الإمكان، تتناول
قوائم المفردات الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم.

↓
قوائم المفردات التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم.

↓
قوائم المفردات التي تعبر عن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم.

↓
قوائم التعابير الاصطلاحية في القرآن الكريم.

↓
قوائم المتلازمات اللفظية في القرآن الكريم.

↓
قوائم أمثال القرآن الكريم.

↓
قوائم العبارات المجازية في القرآن الكريم.

ومن خلال هذا الطرح المعجمي يمكن: تعويد غير الناطقين بالعربية على كيفية التعامل مع النص القرآني، كما يمكن توفير كمية كبيرة من المفردات اللغوية، و مختلف النماذج النحوية والصرفية، والتراكيب والأساليب العربية، التي تساعد متعلم العربية من التمكن فيها عن طريق السياق، شريطة أن تُستقى المعاني المعجمية للصيغ اللفظية، والحقول الدلالية من التفاسير العلمية والموضوعية واللغوية للقرآن الكريم.

ثم إن ربط متعلم العربية من الناطقين بغيرها بمعجم قرآني حاسوبي، ناطق ومصور، وإعداده للتعامل مع النص القرآني، يساعد في تحقيق أهداف الدرس اللغوي، ويجعل تعليم العربية للناطقين بغيرها، تعليمًا ممتعًا، ومنتجًا في الوقت ذاته؛ إذ من السهولة ربط الكلمة فيه بسياقها الطبيعي، وإحضار مشتقاتها، وإدراك سبل استخداماتها، من خلال نطق قرآني فريد ودقيق، يربط الطلاب بروعة وقعه، وحسن بيانه، ودقة تصويره، وهذه ميزة عظيمة توفرها التقانة الحديثة، قصرت عنها المعاجم الورقية، إذ يمكن من خلال هذا البرنامج، أن يستمع المتعلم إلى نطق صحيح دقيق لكلمة المدخل، والجمل التي تدخل في سياقها، وذلك بالضغط على المدخل أو الجملة، ليتشكل ملف صوتي يؤدي إلى المطلوب من: دقة الأحكام، وصرامة الضبط، وصحة النطق. وهذا له أهميته في درس العربية للناطقين بغيرها؛ إذ لا يستغني دارس العربية عن مرجع يفك به إبهامًا يعترضه، وهو يتعامل معها، وتنوع مواطن الإبهام: فقد تكون في مضمون الكلمة، أو في ضبطها اللغوي، وقد تكون فيهما معًا. فينبغي أن يسعف المعجم دارسي العربية في ذلك، وخاصة، في مجال الضبط، ولا سيما ضبط الأفعال، في أنماطها المتعددة، بالحركات، ولن نجد سياقًا طبيعيًا في ذلك أفضل من سياقات القرآن الكريم، كما أننا من خلال هذا العمل المعجمي للقرآن الكريم "نستطيع إبراز الطابع العلمي المميز

للغة القرآن؛ ذلك بأنها ليست لغة قديمة بالمعنى الذي يصح بالنسبة لكتب دينية أخرى، وإنما هي لغة طرية حية، يستعملها المسلمون الناطقون بها في حديثهم اليومي إلى يومنا هذا^(١).

ثالثاً: في اللغة وسياقها الحضاري:

فالمتكلم لا ينتج خطابه غفلاً من اعتبار سياق ما، سواء أكان ذلك السياق هو السياق الحاضر الذي تنتج فيه الجمل والتراكيب "السياق المقامي"، أم السياق العام للغة نفسها "السياق الثقافي" وهذا يتطلب، في تدريس العربية للناطقين بغيرها، الاستثمار الحضاري للألفاظ، والجمل، والعبارات، بأن تقدم في أطر تحمل الطابع العربي الإسلامي، الذي يميزها، ولو قليلاً، عن مثيلاتها في اللغات الأخرى، بلغة سهلة تتفق ومستويات الدارسين، فلا يكفي أن يتعلم الطالب "شفرة لغوية" جديدة، بل لابد أن يفهم أن هذه الشفرة، تتضمن، في الثقافة العربية الإسلامية، رؤية مختلفة، أو تصوراً مختلفاً للعالم (فمثلاً: نبين له "تحية الإسلام": السلام عليكم، وكيف تختلف عن نظيراتها في اللغات الأخرى، وكلمة "الطعام" وملازماتها في الحضارة العربية الإسلامية، من: غسل اليدين قبل الطعام، والتسمية، واجتماع الأسرة على طعام واحد، وعدم الإسراف... وكذلك "الزواج": نذكر أدبياته في الإسلام... وفي إطار موضوع "الأسرة": شرح المفردات التي تنفرد بها اللغة العربية، وصلة الرحم، والعادات والتقاليد العربية في ذلك... إلخ) بحيث نتجنب "التداخل" اللغوي والحضاري من الدرس الأول؛ حتى لا يربط الدارس بين مدلول الكلمات في لغته ومدلولها في اللغة العربية، بل لا بد من إثارة مشاعره تجاه قيمنا وحقائقنا الحضارية بمفاهيمها القرآنية.

ومن هنا تبرز الحاجة الماسة إلى دراسة العناصر الأساسية في هذه الثقافة الإسلامية العربية الواسعة، والتي يجب أن يتضمنها البرنامج التعليمي للطلبة الأجانب^(٢)، كما ينبغي لهذه المؤلفات أن تأخذ في حسابها الاتجاهات، والتطورات العالمية، وأن تقف كثيراً عند القضايا التي تقدمها للطالب، من: عادات، وتقاليد، وأساليب حياة، وآمال، وتطلعات، وتراث، وتاريخ، والتي ينتظر أن تؤثر في تكوين فكرة الطالب عن ثقافة هذه اللغة، وحضارتها، واتساع رقعتها، فتؤدي دورها في إيصال هذا الفن المهم إلى ما يجب أن يكون عليه.

ولن نجد أفضل من كتاب ربنا (القرآن الكريم) ليساعدنا في تلك المهمة؛ حيث يمكن استخدام نصوص قرآنية تغطي هذه السياقات المتعددة، ويمكن في ذلك الاستفادة من التقنيات المعاصرة في عرض هذه السياقات من خلال برامج حاسوبية متطورة، بأن تعرض مثلاً الآيات التي تحض على بر الوالدين، مشفوعة بصور مرئية لطفل مسلم يقبل والديه، أو يقدم لها كامل الاحترام، ومثل ذلك أن تعرض آيات تنهى عن السرف في الطعام والشراب، مشفوعة بصور مرئية موحية بذلك (وتكون الصورة مقرونة بالكتابة، واستعمال المسميات).

(١) معالجة الألفاظ القرآنية في المعجم العربي الثنائي، ص ٢٢٠.

(٢) وهو ما نبهت عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في اجتماعها التمهيدي لتأليف الكتاب الأساسي لتعليم العربية لغير الناطقين بها (الخرطوم، ٦-٧/١٠/١٩٨٠م) فقد أشارت إلى ضرورة تعبير الكتاب الأساسي "عن المحتوى الثقافي العربي الإسلامي، وتناول النهضة العربية الإسلامية المعاصرة، بجميع أبعادها: الإنسانية، والحضارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية".

ولا شك أن القصة القرآنية، بما تمثله من نص أصلي ليس مفبركاً، يمكن أن يكون لها أثر كبير في هذا المقام اللغوي، فهي بتنوعها طولاً وقصرًا من جهة، وكونها قصصاً حية من جهة أخرى، تساعد في بناء المهارات اللغوية بناءً متدرجاً، متكاملًا في سياق الاستعمال وواقع الحال.

ولابد قبل الاستفادة من القصة القرآنية من إتباع الخطوات الإجرائية الآتية:

١. اختيار القصة القرآنية بعناية، تتفق وما وضعناه من سياسات لغوية، وقيم حضارية، نحتاج أن يتعلمها طالب العربية من الناطقين بغيرها.
٢. اختيار القصة القرآنية التي توفر للطالب فرصاً لتطوير استراتيجيات الفهم العام، والفهم الدقيق (يكون فيها التخمين، والبحث عن العناصر الأساسية، خاصة أن القصة القرآنية تتسم بالإيجاز، مقتصرة على الأحداث المهمة).
٣. تهيئة المتعلمين بإعطائهم نبذة عما ستحدث عنه القصة القرآنية، قبل الاستماع إليها؛ حتى يُعمل معارفه، ويفكر بكل الكلمات التي يمكن أن تدور حولها القصة (مثلاً: قصة خلق آدم وعداوة إبليس له ولأبنائه من بعده، يمكن أن يستخرج من المعجم الكلمات التي تدور حولها: الخلق / آدم، إبليس / السجود / الملائكة / الجن / الإنسان / الجنة / الشجرة / الأكل / العصيان.....)
٤. اختيار بعض المقاطع في القصة المسموعة للاستماع إليها مرات عدة، والتركيز على بعض العناصر فيها (كتابة بعض الكلمات / العبارات / الجمل / تخمين معاني بعض المفردات / إعادة نطق بعض الجمل والعبارات.....)
٥. توظيف ما استفادته الطلاب من القصة القرآنية في إنتاج نشاطات كلامية في سياقات صحيحة، محادثة، أو كتابة، أو بناء للمفردات، أو طرح موضوع للمناقشة يتصل بها.....).
٦. ترجمة الألفاظ غير المعروفة للطلاب من خلال التقريب اللغوي بالمرادف، أو التضاد / أو المثال القرآني الآخر / أو الإشارة / أو التمثيل، ولا نلجأ إلى الترجمة إلا عندما نشعر أن كل السبل قد نفدت!!

رابعاً: في اللغة واستراتيجيات الخطاب:

فالخطاب، أي خطاب، هو نتيجة لإستراتيجية معينة، ولتوليد ثلاث مراحل (يدركها أبناء العربية عرفاً)^(١):

- إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده المؤثرة.
- تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة.
- التلفظ بالخطاب.

ومن هنا يتحتم تدريب المتكلم بالعربية من غير أبنائها على اختيار (الاستراتيجيات) المناسبة، التي تعبر عن قصده، وتحقيق هدفه بأفضل حال، وتنبيهه إلى أن العربية توفر للمتكلم بها إستراتيجيتين: (المباشرة، والتلميحية) ف"الإستراتيجية المباشرة" هي التي يتوخاها المتكلم ليدل على قصده، أو ينجز بها فعله اللغوي من خلال دلالتها

(١) نظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١،

الحرفية، في حين يتجاوز دلالة الخطاب الحرفية في "الإستراتيجية التلميحية" وتتجسد كل من هاتين الإستراتيجيتين من خلال "أدوات لغوية، وهي المادة الموجودة في المعجم اللغوي" و"آليات معينة، وهي ذلك الشكل الخطابي الذي يختاره المتكلم لينتج خطابه من خلاله" فيعمد المتكلم إلى انتقائها وتوظيفها.

وإذا كانت الإستراتيجية "المباشرة" هي التي يتطابق فيها القصد مع دلالة الخطاب الحرفية، فإن هذا لا يعني أنها تحظى بالأولوية دائماً في الاستعمال؛ فقد يفضل المتكلم استعمال الإستراتيجية "التلميحية" في سياق ما. وهذا يقتضي: أن يدرّب متعلم العربية من الناطقين بغيرها على استثمار المعطيات اللغوية، والآليات الخطابية، وفق سياقاتها المتعددة، في فهم العبارات اللغوية وتأويلها، والتفريق بين "الدلالة الأصلية" و"الدلالة التابعة". وكيفية توظيف المتكلم للأدوات والآليات اللغوية، والأوجه البيانية، على المستوى: الصرفي، والدلالي، والتركيب، والصوتي؛ للوصول إلى المعنى المقصود، أو الغرض المراد، ولا شك أن النص القرآني بدلالته المتعددة، وبلاغته المعجزة، يفيدنا في هذا المجال عند تعليم العربية للناطقين بغيرها، من حيث:

- تعليمهم الدلالات المتعددة للكلمة الواحدة في سياقات مختلفة.
- تعويدهم التمييز بين الدلالات الصرفية المختلفة (مثل صيغ المبالغة، واستخدام صيغة المبني للمجهول بدلاً من المعلوم، واستخدام اسم المفعول للدلالة على أشياء بعينها، والتناوب بين أزمنة الأفعال في العربية، وهي آلية صرفية منتشرة في القرآن الكريم).
- العناية بترتيب الكلمات داخل التركيب؛ إذ كل ترتيب ينطوي على قصد معين، وفق ما يستدعيه سياق الخطاب (وهو في الغالب راجع إلى بيان الأهمية، نحو تقديم المفعول لأجله في لغتنا المعاصرة: تنفيذاً لأمر، تجاوباً مع، نظراً...) فاللغة هنا لا تؤدي، فقط، وظيفة مرجعية تحيل إلى مدلول، بل تؤدي وظيفة تداولية تتفاوت بحسب القصد أو الهدف الذي من أجله يسوق المتكلم خطابه.
- تنمية الحس الجمالي في تذوق متعلم العربية من غير أبنائها من خلال إدارة حوار تخاطبي معه حول الإستراتيجية "التلميحية" والتي تحتاج إلى بعد في إدراك العلاقة بين المنطوق والمفهوم، (ومن أوضح الدلائل على ذلك خطاب الاستفهام، والمجاز بأنواعه) فالخطاب قد لا يكون كافياً في الدلالة على قصد المتكلم، فيدرك "أن هناك، في العربية، طرقاً، وآليات بلاغية، لتقول شيئاً ما، وأنت تعني به شيئاً آخر (وأن معنى الخطاب الحرفي فيها لن يناسب السياق، ولن يعبر عن القصد المراد، وخاصة في مجال الدعاية والإعلام، ومجال الأدب، ومجال علم النفس) (والبلاغة هنا، وهي علم مغيب تماماً في هذا الميدان، ميدان واسع وبخاصة علم البيان الذي مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني، ألفاظ الكنايات والروابط، والحذف، والتوكيد، والتهكم، والسخرية، وخروج الاستفهام عن حقيقته، والمبالغة... وكلها وسائل بلاغية منتشرة في القرآن الكريم، من حيث إنها تسهم في الإقناع والتأثير).

وبهذا تكون عملية تعليم العربية للناطقين بغيرها، عملية حية، وليس مجرد استظهار قواعد، أو حفظ كلمات مع انصراف عن التفكير في المعاني، وارتياح الآفاق الإنسانية؛ فدرس العربية لمتعلميها من الناطقين بغيرها، من خلال "استراتيجيات التخاطب" وتطبيقاتها في القرآن الكريم مما يؤمن للعربية ديمومة على المدى البعيد، بوصفها لغة شائعة

الاستعمال في غير محيطها العربي من جهة، وبوصفها ناقلة للثقافة العربية الإسلامية التي يتطلع إليها العالم في أحداثه الأخيرة من جهة ثانية، واستثمار هذه اللغة في خدمة مجتمعاتنا وقضايانا الرئيسية من جهة ثالثة، لا سيما في زمن يكثُر فيه اللغز حول صراع الحضارات أو حوارها، وهذا يتطلب من وقت لآخر، مراجعات لتحديث طريقتنا في تعليم العربية، وخاصة للناطقين بغيرها، وتحديد مجالاتها، وأولوياتها، والمقاربة الدقيقة بين أمرين أحدهما "كائن" والآخر "ممكّن"، لا أن نترك لغتنا تعاني غربة الزمان والمكان، ثم نجعل الإشكال فيها. والحقيقة أن هذا إشكال الإنسان، لا إشكال اللغة.

ختام القول:

تلك كانت مقارنة أولية، لا أدعي أنها قد عاجلت جميع جوانب الإشكالية المطروحة، واستوفت النظر فيها، بل اجتهدتُ فيها، ما وسعتني الحيلة، أن أعرض لأهم ملامح المشهد اللغوي في تعليم العربية للناطقين بغيرها، وتلمس الفجوة بين هذا المشهد والتوظيف القرآني في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، من خلال الحديث عن: (أسباب ضعف التوظيف القرآني في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها، والرد على الدعاوى الباطلة في ذلك، ثم الحديث عن الأساسيات المنهجية التي ينبغي مراعاتها عند هذا التوظيف، وأخيرًا بيان بعض من أوجه الاستفادة من القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها في نواحي: الظواهر الصوتية، والمعجم والدلالة، واللغة وسياقها الحضاري، واللغة واستراتيجيات التخاطب).

وفي ختام تلك المقاربة، أقرر، بكل يقين، أننا نمتلك القدرة على تجاوز هذا "الضعف" إلى وضع "رؤية" واضحة للاستفادة من القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، باعتباره كتاب العربية الأول، من خلال:

- **التأكيد على أن في توظيف القرآن الكريم في مناهج تعليم العربية للناطقين بغيرها سبيلًا لنشرها في العالمين، وأن نرى في ذلك رسالة حضارية تقرب "الآخر" منا كأنه "منا"؛ إذ نقدر أن تعلم العربية، والامتداد بها من خلال النصوص القرآنية، وما تحمله من مفاهيم حضارية، سبيلنا إلى الانفتاح على "الآخر"، وسبيلنا إلى احتواء "الآخر" بسحر العربية، وبلاغة القرآن الكريم؛ ذلك أن اللغة هي الركيزة الأساس في وسائل الاتصال والبلاغ والإعلام، وأن التعبير بلسان قوم تفكير بعقولهم، وأن الإحاطة بثقافة أمة وفهمها لا يتحقق إلا من خلال لسانها، وغياب الوعي بذلك يؤدي إلى كارثة حضارية ومعرفية، والتاريخ خير شاهد!!**

- **الانتفاع، في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، بالأنظار اللسانية الاجتماعية، التي تعين اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، كالسياق، وعلاقة المتخاطبين، وطبيعة الاستخدام... إلخ وغيرها من الأشياء التي تنظم الحراك اللغوي، إذ من تمام "الكفاية اللغوية". "الكفاية التواصلية" أو "الكفاية التخاطبية" بأن يستخدم المتكلم اللغة في الوقت المناسب، وفي المقام المناسب، استخدامًا وظيفيًا صحيحًا يجمع بين متطلبات الأداء اللغوي الواضح السليم، أصواتًا ومفرداتٍ وتركيبٍ، ومتطلبات الموقف والسياق، والمحاولة الجادة في توظيف النصوص القرآنية لخدمة هذه المجالات، وبهذا، وحده، تكون عملية تعليم العربية للناطقين بغيرها، عملية حية، وليس مجرد استظهار قواعد، أو**

حفظ كلمات مع انصراف عن التفكير في المعاني، وارتداد الآفاق الإنسانية.

• التخطيط الواعي، الذي تحكمه رؤى واضحة، بعيداً عن الارتجال، أو التكرار، أو الخلط، أو الصخب أحياناً. ويجمل أن تكون خطة توظيف القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها خاضعة لتخطيط مركزي على مستوى العالم العربي والإسلامي، تخطيط أقترح أن يشرف عليه، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة، بما لديها من نية صادقة في خدمة القرآن الكريم، وإمكانات ضافية في هذا الميدان، والعمل على إنشاء قناة فضائية، ومواقع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) متخصصة في ذلك.

• الحوار والمناقشة، إذ أدعو الهيئة إلى أن تتبنى من خلال خطاب "لساني" و"إعلامي" - دعوة العلماء والباحثين إلى وضع خطط عملية للاستفادة من القرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها، والاستفادة من التقنيات الحديثة في ذلك^(١)، واعتبار ذلك خياراً استراتيجياً، حتى يكون لنا ما "نريد" كما كان لغيرنا ما "أراد". وعسى أن يكون "آخر" الفكرة، "أول" العمل، فنحول أمراً "كائناً" إلى آخر "ممكناً"؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ فيه.

ولله الأمر من قبل ومن بعد،

(١) للباحث، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/ محمد عبد اللطيف، بحث عن "التوظيف التقني للقرآن الكريم في تعليم العربية للناطقين بغيرها" تناول فيه أهمية هذا التوظيف، ووضع بعض النماذج التقنية لبيان كيفية هذه الاستفادة.